

لقاء قناة الحرة بالدكتور إبراهيم الجعفري
2009/6/16
(العراق والساحة الإيرانية)

المقدم: هناك تطورات دراماتيكية تشهدها الساحة السياسية الإيرانية في العراق.. كيف تنظرون إلى هذه التطورات من زاوية عراقية؟

الجعفري: ما تشهده الساحة الإيرانية هو شأن إيراني محض، ونحن نحترم التجارب الديمقراطية، ونعتقد أن العالم اليوم يعيش عصر الديمقراطيات بغض النظر عن وجهة نظرنا في النتائج التي تفضي إليها هذه الانتخابات، فما يهمنا كثيراً هو أن تكون فعلاً معبرة عن رأي الشارع الإيراني في غاليته، هذه هي طبيعة النظام الديمقراطي بالعالم في العصر الحاضر؛ لذا نحن حريصون على أن نجد الديمقراطية في كل بلد تعكس بشكل أمين ودقيق رأي الشعب، ومن دون شك، هنا تأثير وتأثير بين كل الدول.

ما يحصل اليوم في الساحة الإيرانية نعتقد أنه إرهاب طبيعي، وهناك انعكاس لطبيعة التحولات، وهناك رأي في الشارع، وهناك رأي آخر نأسف أن يأخذ في بعض الأحيان نمطيات ذات طابع عنفي شديد، ونحن نتقبل أن يكون هناك رأي ورأي آخر سواء كان في العراق أو في بلدان العالم بشرط أن لا يتحول هذا السجال السياسي والإعلامي إلى حالة مؤسفة وحالة عنفية، والاستقرار في كل بلد من بلدان الجوار سواء كان إيران أو أي بلد آخر بالنسبة لنا رصيد وثروة جيدة، ولا نريد أن نتدخل في الشأن الإيراني انطلاقاً من إيماناً بمبدأ أساس، هو إننا لا نتقبل أن يتدخل أي بلد من البلدان في شؤوننا الداخلية؛ لذا نحن نعمل بهذا المبدأ بوجهيه.

المقدم: لكن الوضع الإيراني له انعكاس كبير، وهناك تأثير كبير للسياسة الإيرانية في العراق.. سؤالي إلى أي مدى يتأثر الوضع العراقي بما يحدث من تطورات في إيران وتحديداً في حال إعادة انتخاب حسب النتيجة المعلنة السيد أحمد نجاد، هل يعني استمرار السياسة الإيرانية في العراق، وهل كنتم تفضلون أن يكون شخص آخر أكثر لينا في خطابه لينعكس خطابه إيجاباً على الساحة العراقية؟

الجعفري: نحن لا نرهن التأثير والتأثر على رجل، وإنما نرهن العلاقة بيننا وبين أي دولة في الجوار الجغرافي على أساس حقيقة ما يجري في العمق الشعبي لكل بلد، ونعتقد أن التجربة الديمقراطية عندما تحصل في كل بلد تعبّر عن حقيقتين في آن واحد، تعبّر عن حقيقة خيار ذلك الشعب لمن ينتخب وفي الوقت نفسه عن أصدقاء ذلك المرشح، ويهمنا كثيراً أن تكون الأجواء العراقية - الإيرانية كما هي مع بقية دول الجوار الجغرافي مبنية على علاقة طيبة وجيدة ومتطورة لوجود مصالح مشتركة انسجاماً مع الحقيقة الجغرافية والحقيقة التاريخية والحقيقة المجتمعية من دون أن يتحول ذلك إلى خوف وهواجس متبادلة..

إذا أردت الانتماء إلى النادي الديمقراطي في العالم فمن الصعب جداً بل من المستحيل أن تمنع التداعيات والاختلافات التي تحصل في كل بلد مهما كان بعيداً جغرافياً، لكن دعنا ندخل إلى الملف الديمقراطي ليس من زاوية القرب الجغرافي، إنما من زاوية القرب الديمقراطي، فالدول التي تعيش حالات انتخابات تنقف شعوبها وتتأقف مع الشعوب الأخرى على أنها كيف تؤثر، وكيف تقيد هذه الشعوب؛ لذا كثر ما تنتحل هذه الشعوب طريقة التعبير من الأقصى الجغرافي عندما يكون الأقرب السياسي هذه حقيقة اليوم، شعوب العالم اطلعت على التجربة الأميركية في الانتخابات، واطلعت على التجربة البريطانية في الانتخابات، واليوم تطلع على التجربة الإيرانية في الانتخابات، ولا نستطيع أن نحد من التأثيرات التي يتفاعل فيها شعب كل منطقة مستفيداً من الدول الأخرى.

المقدم: بهذا المعنى هل الحيوية أو عودة الحيوية السياسية الديمقراطية إلى الساحة السياسية الإيرانية تأثرت بعض الشيء بما يجري داخل حدودنا من عملية ديمقراطية مستمرة متواصلة؟

الجعفري: من دون شك ما حصل في العراق أعطى انعكاسات، ولاقى تلقيات من كثير من مناطق العالم، خصوصاً الدول القريبة منا، لقد قلّتها أكثر من مرة: إن المرأة ستدخل في بعض برلمانات الدول وفي الوقت نفسه تدخل إلى الوزارات، وحصل ذلك لأن المرأة أخذت التجربة الجديدة في العراق، وأخذت حجماً ممتازاً، وتجاوزت ما كانت عليه سابقاً، وأعطى ذلك انعكاساً لم يكن قد وضعناه في صندوق؛ حتى نصدره خارج العراق، لكن المجتمعات تتداخل مع بعضها، كما إن الديمقراطية قدر إنساني وليس قدراً إقليمياً لمنطقة دون أخرى، ولا نستطيع أن نحد من التأثيرات المتبادلة. أعتقد أننا أمام ثقافة ديمقراطية إما التدخل المباشر وهذا مرفوض من قبلنا رفضاً قاطعاً، وإما أن يتأثر شعب بثقافة شعب آخر، ويستفيد من تجربته وهو أمر مرحّب به.

المقدم: لننظر إلى تأثير الساحة العراقية من زاوية أخرى، وهي حالة الشد والجذب بين الجانبين الإيراني والأميركي.. إلى أي مدى يترك تأثيره في الساحة العراقية استناداً إلى سنوات التجربة الماضية؟

الجعفري: منذ منذ سقوط النظام الصدامي حتى الآن هناك جذب إقليمي دولي متبادل بين أميركا تحديداً وإيران من الجانب الآخر، الساسة العراقيون هم الذي يقيّمون التجربة اليوم، ويحاولون جهد الإمكان إبعاد العراق عن مسألة التوتر الذي يحصل بين أميركا وبين إيران، وينتظعون إلى أن تتحسن هذه العلاقات، وفي تقديرنا تحسّن العلاقات الدولية الإقليمية ينعكس إيجاباً على الساحة العراقية.

المقدم: إلى أي مدى يستطيع السياسيون العراقيون أن يبعدوا تأثير تدهور العلاقة الإيرانية - الأميركية عن الساحة العراقية؟

الجعفري: هذا ما عملنا به طيلة الفترة السابقة، وأعتقد أنه يمثل مشتركاً وطنياً عراقياً بين الفصائل السياسية العراقية كافة؛ لأنهم يحاولون أن يأنوا، ويبتعدوا عن حالة التوتر الموجودة، وأنا أتصور أنه في نهاية الدورة السابقة للسيد نجاد شهدت العلاقات الأميركية - الإيرانية قدراً من التحسن ويمكن أن تتحسن أكثر.. بالنسبة لنا أياً يكن مآل هذه العلاقة فنحن نتطلع إلى وجود علاقة طيبة؛ لأنها ستسهّل علينا حيادية العراق وابتعاده عن هذه الأزمة، لكن إذا بقيت هذه الحالة المتوترة يتوجب علينا جميعاً وأنا أحد المسؤولين في التجربة الجديدة أن نبقي نحفظ للعراق موقفه الحيادي البعيد، ونحاول أن نسهم في صناعة علاقة طيبة بين أميركا وإيران من دون أن نكون انعكاساً للتفاعلات الحادة إذا - لا سمح الله - حصلت.

المقدم: إلى أين وصلت الديمقراطية العراقية؟

الجعفري: الديمقراطية العراقية ماتزال في شوطها الأول، ولا أحد يزعم أننا قطعنا أشواطاً متقدمة فضلاً عن أننا أكملنا الطريق.. العراق لم يتسلم في التجربة الجديدة مؤسسات ديمقراطية ودستوراً مطبقاً وبرلماناً وما شاكل ذلك، إنما تسلمنا حالة كانت في الأقصى السياسي عملية إقصاء للآخرين (دكتاتورية)؛ لذا عندما نقيم الحكومة والرجالات الذين يقومون على النظام الجديد يجب أن ننصفهم بأنهم استطاعوا أن يمتدوا بالديمقراطية على ذلك الموروث الدكتاتوري المتعسف.

المقدم: لكن هل بُنيت الديمقراطية في العراق على أساس صحيح؟

الجعفري: في العراق هناك عناصر عدة للصواب الديمقراطي، منها: عملية الانتخابات، ومواسمها، واعتماد الدستور، والبرلمان، وتعدّد الرأي، ونقل السلطة بطريقة سلمية، لكن اكتنفها الكثير من الأخطاء، مثلاً تحولت التعددية إلى محاصصة، وتحولت الحرية بالتعبير عن الرأي إلى حالة تشاتم وتلاعن، وتحول انفتاح العراق إلى بورصة للحسابات التي أخذت سجالاتاً مسلحاً.

المقدم: هل تعتقد أن النظام السياسي في العراق يسير نحو التخلص من المحاصصة؟

الجعفري: النظام السياسي لا يسير بطريقة تلقائية فهو يقوم على أساس رجال ونساء يحاولون أن يذهبوا بالتجربة باتجاه صحيح، لسنا أمام دولة أسست تأسيساً كاملاً ديمقراطياً، وأصبحت أعرافاً ديمقراطية، فالديمقراطية لم تتحول إلى تقليد بعد.

المقدم: هل يقوم رجال ونساء العهد الجديد بتصحيح الوضع، ودفع النظام إلى التخلص من المحاصصة؟

الجعفري: هناك رجال ونساء ممن يتقطعون المأ على وجود مفارقات، ونوع من الفساد السياسي الذي يعطي انعكاسات لفساد مالي وإداري، وهناك من يُصرّون على هذه العقلية، لكنني أزع أنه كلما مضى الوقت توجد حالة مراجعة، ولو إلى حدّ ما. أعتقد أنه توجد استفادة، وتوجد إرادة لتخطي هذه الظاهرة، وآمل أن تشهد الدورة الانتخابية القادمة تحسّناً في مكونات البرلمان، وجعل الحالة ما بعد الانتخابات أفضل مما كانت عليه سابقاً.

المقدم: الكتل السياسية هي كتل طائفية - قومية أي إن لها لوناً طائفيّاً أو لوناً قومياً وليس فيها تنوع؟

الجعفري: أنا مع عراق العراقيين، ولست مع عراق السنة، وعراق الشيعة، وعراق الكرد، وأعطي العراق كله للعراقيين كلهم، وعليهم جميعاً أن يبادلوا العراق كذلك، هذا فهمي (السياسي استراتيجي) وبعيد الأمد، وأقول: لكل قائمة مهما اصطبغ لونها بخلفية مذهبية أو قومية يجب أن لا تغرق في هذه الخصوصيات على حساب الوطنية العراقية، وأعتقد أن الأصل في البرلمان يجب أن يكون برلماناً وطنياً عراقياً يضم كل مركبات الشعب العراقي من دون أن ينحو منحى محورياً متطرفاً يتغالب فيه الجانب العنصري أو الجانب الطائفي.. أنا ضد العنصرية وضد الطائفية ولكنني أحترم خصوصيات شعبي على أن تبقى الوطنية هي الصبغة العامة لكل القوى التي تشكل البرلمان.

المقدم: كيف يمكن لكتلة لها لون قومي أو طائفي أن تتصرف بشكل تتجاوز هذا الاعتبار، في النهاية ستستمر عملية المحاصصة، وعملية التقسيم؛ ومن ثم يترسخ الخل الكبير الذي بُني عليه النظام السياسي في العراق؟

الجعفري: الانتماء القومي ليس أساساً في بناء العملية السياسية العراقية، وكذا الحال بالنسبة للانتماءات المذهبية، نحن نريد أن نقيم العراق على أسس عملية وطنية.. ولو نظرنا إلى تجربة لبنان فالعملية السياسية فيه مذبذبة مجزأة، وهم يحاولون أن يتجاوزوا ذلك.

المقدم: ألا ترى أنها تجربة ناجحة؟

الجعفري: أنا لست مع مذهب أي بلد، لكن أقول لك: إن هذه الكتل استطاعت بشكل أو آخر أن تتجاوز هذه التجزئة المذهبية، وتحاول أن تعبر إلى الآخر، وتستوعبه.. التجربة في العراق ليست كتجربة لبنان ففي الوقت الذي يستحيل على سبيل المثال في لبنان على أي سني أو شيعي أن يصل إلى رئاسة الجمهورية بينما في العراق الباب مفتوح لأي سني وأي شيعي في العراق أن يكون رئيساً للجمهورية أو رئيساً للوزراء.. في العراق لم يَقم النظام على أساس التجزئة والتمذهب، فالدستور العراقي فتح الباب أمام الوطنية العراقية بمقاسات وطنية تعتمد الكفاءة للترشح لكل المناصب.

المقدم: في استمرار بقاء الكتل ذات اللون القومي أو الطائفي هذا يستدعي الاستمرار في سياسة التوافق أليس كذلك؟

الجعفري: التوافق قد يلبي متطلبات حالة مرحلية في بعض الأحيان.

المقدم: هل تعتقد أن الوقت حان الآن؟

الجعفري: أعتقد أن الوقت حان لأن نتجاوز هذه القوالب.

المقدم: كيف تطمئن الكتل وهي تمثل طائفة معينة.. كيف يمكن أن تدار البلاد وهناك تجاذب مصالح، والكل يريد لطائفته، والكتلة تعمل لطائفها؟

الجعفري: الشعب أعطى رأيه بكل صراحة بأنه ليس مع هذا الاتجاه ومن يدقق النظر جيداً، ويقرأ، ويجسّ نبض الشارع يجد الشعب ليس مع هذا الاتجاه، ويجد أن الشعب يريد الكفوء الوطني، المخلص، المضحي، النزيه، والمبدع.. يريد هؤلاء؛ حتى يبني عراقاً جيداً ينعم فيه كل العراقيين.. العراقيون جميعاً يؤكدون أنه لا يوجد فرق بين أبناء الطوائف، والقوميات إنما الفرق أن هناك كفوءاً وغير كفوء، وهناك صالحاً وهناك فاسداً، هذه هي الحقيقة وغيرها أوها.

المقدم: ما الضير الآن في تشكيل ائتلاف يضم تنظيمات وأحزاباً سنية شيعية كردية هل هناك عقبات؟

الجعفري: ليس هناك من ضير، وربما تكون هناك عملية ارتحال تتطلب ثقافة، وإيجاد مناخات مناسبة، والآن الجو أفضل من ذي قبل في التجارب السابقة، وبدأ يتقبل

أكثر من السابق، وأعتقد أن الوقت قد حان لأن نخرج العراق من شرنقة المراوحة في المحاصصات السلبية إلى الحالة المتسعة.

المقدم: تقولون: إن النظام في العراق فيدرالي.. هل أنت على قناعة تامة بأنه نظام فيدرالي حقيقي بمواصفات الفيدرالية المعروفة في العالم؟

الجعفري: الفيدرالية بالنسبة لمجتمعنا قد تكون دواءً ناجعاً لوجود تعددات ديمغرافية وسكانية، لكن هناك ملاحظات على هذه الفيدرالية يجب دراستها وإعادة النظر بالتعامل معها، ويجب أن تكون الفيدرالية متوازنة مع الحكومة الاتحادية ولها صلاحيات في الدستور، ولرئيس الوزراء صلاحيات في الدستور، حتى لا نحول الفيدرالية إلى هاجس وعملية شدّ وجذب.

المقدم: عندما نقول فيدرالية في العراق يبدو الوضع غير طبيعي.. فهناك إقليم فيه نظام فيدرالي بينما إقليم آخر ليس فيه هذا النظام حتى يتوازن مع الإقليم الآخر، وهناك برلمان فيدرالي يسن قوانين غير فيدرالية من اختصاص الأقاليم يُطبّق على باقي العراق، ولا يُطبّق في إقليم كردستان، بينما نواب كردستان يسهمون في إقرار قوانين يُطبّق في الجزء الباقي من العراق، هنا يبدو عدم عدالة في هذا الموضوع.. كيف يمكن معالجة هكذا نظام؟

الجعفري: أنا أتصور أن هناك خطأ في التجربة، وخطأ في تطبيقاتها، نحن متمسكون بالدستور على الرغم مما لديّ من ملاحظات عليه، لكن الدستور كما عبّر عنه أنه حَرَم، ولا يجوز انتهاكه، ويجب تبديل بعض نقاط الضعف، والحفاظ عليه، بالمناسبة الفيدرالية في العراق نشأت قبل النظام الديمقراطي بعقد من الزمن، وقد اعتدنا على أن تولد الفيدرالية من رحم الديمقراطية، وهي التي تضي عليها الشرعية وتدافع عنها.

المقدم: ستسحب القوات الأميركية آخر الشهر من المدن، وهناك جدول زمني تدريجي للعمل به، وانتخابات بداية العام المقبل، هل يسير العراق في طريق التعافي؟

الجعفري: نأمل، ونعمل من أجل أن يمضي العراق بطريق التعافي، ونحن نعمل، ونصبّ كل الجهود، ونمدّ يدنا لكل القوى الخيرة من أجل صناعة العراق الجديد، وأعتقد أن الأجواء باتت اليوم مهيأة لتجاوز القوالب الطائفية والعنصرية والحزبية من أجل بناء عراق جديد.

المقدم: هل باتت الثقة أقوى في المجموعات العراقية؟

الجعفري: كفكر وهياكل عامة كانت بعض الرموز تبتعد، أو تقترب قليلاً لكننا لا نراهن على رموز بقدر ما نراهن على الثقافة الوطنية الجديدة العراقية والقواعد الجماهيرية.. أنا أعتقد أنها أنضج مما كانت سابقاً، وفي انتخابات الشهر الأول من هذا العام وجدنا أن هناك تطورات حصلت، وعكست ثقافة وطنية عراقية جديدة.